



مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies
نماء وانتحاء

أوراق نماء (٩٠)

أمونيوس ساكاس (٢٤٢-١٧٥ م)

سفيان البطل

«الروح هي الحياة، إذا تغيرت في الاتحاد لن تبقى هناك حياة»¹

أمونيوس ساكاس

تقديم عام:

لقد أشكل على الإنسان أمره، كيف لا وفي «داخل كل منّا شعور بالانبهار والدهشة واقتناع كامن بوجود سر أو لغز ينساب من الكون ويتحدى الإنسان»²، فلا غرابة إذن أن يجول بفكره إلى عالم واسع يعبر عنه بأسئلة لا مناص له منها؛ مما يزيد من ضرورة الإجابة عنها، الأمر الذي يواكبه توضيح حول حقيقة الكون ويتحدد له منهج الحياة.

من خلال نشاط الإنسان الذهني والمعطيات التي تكونت لديه انطلاقاً من تجاربه في الحياة، تتراءى له مجموعة من الومضات يمكن أن نعبر عنها بالإدراك الطبيعي لحقائق كبرى، كانت من صميم الوجود الإنساني وشكلت محور التفكير الفلسفي³.

لذلك؛ يمكن القول إن هذه الحقائق الكبرى المترجمة في شكل تساؤلات تدور حول طبيعة الألوهية وحقيقتها، وتدور أيضاً حول حقيقة الكون ومساره، كما لا ننسى أن نذكر أنها تدور حول حقيقة الحياة ومصير الإنسان فيها.

كل هذه الإشكالات يمكن أن نفرض جزماً أن «حولها كانت - وما تزال - تدور أبحاث الفلاسفة، ومن ينبوعها تتفجر مذاهبهم»⁴؛ وبالتالي أخذت الفلسفة وظيفتها انطلاقاً من بحثها في ماهية الأشياء وتفسير علاقة بعضها البعض، وأيضاً محاولة تفسير وتوضيح العلاقة التي تجمعها بالإنسان ومدى قيمة حضورها في الوجود الإنساني، إنها علم يبحث في حقائق الأشياء وعللها وغايتها وعلاقاتها⁵.

¹. Vacherot, Étienne, Histoire critique de l'école d'Alexandrie, ouvrage couronné par l'institut académie des sciences morales et politiques, tome 1, paris, librairie philosophique de lardange, 1846, page 354.

². مرجب، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٢٦.

³. مرجب، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٢٧.

⁴. مرجب، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٢٧.

⁵. صالح، سعد الدين السيد، قضايا فلسفية في ميزان العقيدة الإسلامية، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ٤٥، الطبعة الأولى ١٩٩٨، الصفحة ٩.

إذن؛ الفلسفة هي «التعبير الواعي المنظم عن المفاهيم الأساسية التي تسند إليها المعرفة وعن القيم الأصيلة للوجود الإنساني»^٦، لهذا الغرض أجمع الفلاسفة والحكماء وغيرهم على أن قيمتها تتحدد في كونها «تسمو بنا فوق ذواتنا وتهبنا الشعور بالوجود العميق وتوغل بنا في حقائق الأشياء»^٧، فلا عجب أن تتأرجح ذات الفيلسوف في لذة فكرية تتراوح بين الإحساس والشعور، وبين الخيال والمزاج، وبين العقل والذوق، إنها لذة رغبة المعرفة من أجل المعرفة ولا شيء غير ذلك؛ ولهذا كانت عاملاً أساسياً وكبيراً في ازدهار وتطور التفكير الفلسفي لدى الإغريق، حيث كان سبيل الفلسفة هو سبيل الشعور بالذات ومعنى الوجود، فيرقى الإنسان عندهم بتفكيره المجرد ونظره العقلي وسبر الأغوار.

٦ . مرجب، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٢٧.

٧ . مرجب، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٤٧.

١ - الأفلاطونية المحدثة في مقابل أنماط تفكيرٍ شرقية

يعتبر فلاسفة اليونان أعظم رواد الفكر الإنساني وأساتذته، فقد انبنت حضارات على أمجاد فكرهم الفلسفي وريادتهم العقلية، حيث كانت الفلسفة أمّ علومهم وممارستها نشاطاً فكرياً لا ينفصل عن حياتهم اليومية؛ فكان التنافس بينهم في أشده حول من سيخدم مجتمعه ويولد فكراً جديداً يسمو به الإنسان ويتقدم به نحو حقيقة الحياة وأصل الكون.

وكي نفهم هذا الفكر، وبشكل خاص مع الأفلاطونية المحدثة حتى تتسنى لنا الفرصة وتتاح لقراءة جوهر التصوف عند أحد أبرز معالم هذه المدرسة "أمونيوس ساكاس"؛ ارتأينا أن نقف على مجموعة من التصورات تعود لحضارات تأثرت بها الحضارة الإغريقية عامة، والأفلاطونية المحدثة خاصة؛ وبالتالي سنحاول رصد بشكل مباشر أو غير مباشر إلى أي مدى قد يكون هذا الادعاء صحيحاً؟ وما وجه الاختلاف والجدة الذي بلغته المدرسة المعنية بهذه الدراسة، خصوصاً وأنا سنناقش هذه العملية في ضوء مقارنة مع فكر أمونيوس ساكاس؟

مما لا شك فيه، أنه كانت هناك حضارات بنت لنفسها طابعاً تميزت به، يعترية نوع من المزج بين الحكمة والفن والفكر «ولكن الحكمة التي اقتص بها اليونان كانت فريدة في نوعها وإليها وحدها ينصرف اسم الفلسفة بمعناها الدقيق»^٨، ورغم صحة الادعاء الذي يقول بأن بعض الحضارات السابقة بلغت بفكرها إلى حد معرفة حقائق كثيرة؛ إلا أن هذا الفكر لم يرتق إلى مستوى البحث النظري المنظم والنظر الكلي والتمحيص العقلي كما كان مع الإغريق الذين وضعوا أسس الفلسفة وحددوا اتجاهاتها الرئيسة والتي مازلنا نقف عندها إلى يومنا هذا.

ومنه يكون «فضل اليونان على غيرهم من الأمم والشعوب ليس في وضع المشاكل والحلول المناسبة لها بقدر ما هو في قده الزناد وإطلاق الشرارة الأولى للتفسير العقلي والتفكير المنهجي والتعليل المبني على المنطق والاستدلال، والبعيد عن الهوى والأسطورة والتقاليد الدينية؛ وبالتالي البعيد عن كل سلطة غير سلطة العقل»^٩، ولكي تتوضح الفكرة أكثر بهذا الخصوص نقدم شواهد وأمثلة حول أهم أفكار الأمم الشرقية القديمة، التي ساهمت في ترسيخ تقاليد عقلية لها شأنها في التاريخ القديم والتي ما زالت بعض تجلياتها مستمرة معنا في هذا العصر.

٨. مرجب، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٥٩.

٩. مرجب، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٥٩.

أ - في خصائص العقلية الشرقية المصرية:

اهتموا بموضوع تطهير النفس والحياة ما بعد الموت أكثر من الانشغال بالبحث النظري والعقلي؛ وبالتالي ظلَّت تعاليمهم في حدود التدين مفتقرة بذلك إلى معايير عقلية يضبطها المنطق.

وقد ضمت ديانتهم قيمًا أخلاقية حيث إنها تدعو إلى السلوك المستقيم طبقًا لتعاليم بتاح حوتب، وهناك نصوص تمتدح فضائل كالتواضع وضبط النفس والصبر والحكمة والإحسان؛ وبالتالي ارتبطت مفاهيمهم الأخلاقية باعتقادهم في "الإله العظيم" الذي يعني الإيمان بيوم الحساب^{١٠}. ومنه كانت قوة الإيمان بالحياة بعد الموت هي التي دعمت الديانة المصرية وساعدت على أن تحتفظ بصداها المتأخر حتى حدود القرن السادس الميلادي.

ب - في خصائص العقلية الفارسية:

طغى عليها التفكير في مدبر العالم، وتوقفت في الحقيقة على اثنين بحسب اعتقادها السائد آنذاك، هما: أمهورا مزدا (Ahura Mazda) إله الخير، وأهريمان (Ahriman) إله الشر. وعليه؛ شكَّل الصراع بين الخير والشر وكل ما يمثلانه في الوجود جوهر التفكير العقائدي لدى الفرس، ولب المذهب الديني «الذي يعرضه الكتاب المقدس لدى الإيرانيين: الزند أفستا»^{١١} (Zend Avesta)». ورغم أنها ديانة تمتاز بالتوازن العقلي الذي يسود فيه التفكير؛ إلا أنَّ بنيتهم المعرفية هذه ظلَّت منزوية على أساس من الذوق والكشف بعيدة عن ما هو عقلي ومنطقي.

ج - في خصائص العقلية الهندية:

شهدوا قدرة عجيبة على النظر الفلسفي، لكن أعقب هذه المشاهدة عجز غريب تجلى في عدم إمكانهم على حل القضايا التي أثارها نظرهم الفلسفي؛ فقد تميز سعيهم العقلي دائمًا بالبحث عن الخلاص لتحقيق السكينة.

^{١٠} عالم الفكر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، مشرف التحرير: جفري بارندر، العدد ١٧٣، الصفحة ٤٥ - ٤٦.

^{١١} تعني هذه الكلمة ((الأصل)) أو ((المتن)) وهو الكتاب المقدس عند الزرادشتية، انظر: عالم الفكر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، مشرف التحرير: جفري بارندر، العدد ١٧٣، الصفحة ٣٢٢.

. مرجعاً، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٦١. ^{١٢}

لذلك؛ اهتمت هذه العقلية بما يستحق أن نسميه الحياة الروحية بامتياز، وفي مقابل هذا الاهتمام قامت بتهميش دور العقل ولم تول لما يصدر عنه من تصورات قيمة كبرى تذكر، «فالحياة الروحية التي ينشدها حكماء الهند [...] إنها المقصد والغاية [...] إنَّ أكبر همَّها هو التجرد عن الرغبة وترك كل حظ للنفس وسكون السالك [...] مقبلاً بكنه الهمة على التأمل الخالي من كل مضمون، حتى يفنى عن نفسه وتغيب عن ذكره وفكره جميع الصور والرسوم ويتلاشى في مبدئه ويتحد به ... إلى غير ذلك مما لا يفهمه الحديث ولا تشرحه العبارة ويضيق عنه نطاق العقل ولا يكشف المقال فيه غير الخيال»^{١٣}.

إنَّ هذه الحكمة الهندية يمكن أن نعبر عنها في سلكها بالطريقة الصوفية؛ وذلك لأنها تشبه تمامًا ما نعرفه عن الصوفية والمتصوفة في مجتمعنا المعاصر، حيث يتميزون دون الكثيرين بفكرة الجمع بين الأضداد، «وبذلك؛ فإنَّ الحكمة الهندية تختلف اختلافاً تاماً عن طريقة التفكير في المذاهب الغربية. فهذه الأخيرة حتى وهي تشك وتنفي، تثبت أيضاً ما هي تدعي إنكاره، وهي إذ تفعل ذلك إنما تشكك في معرفة الوجود أكثر مما تقول باللاوجود»^{١٤}. وبالتالي؛ يصح أن نعتبر أنَّ هذا المقياس من التفكير الإنساني مختلف تماماً عن غيره ولا مثيل له، إنَّه نوع من التأمل الذي لا ينهال بالوجود أو اللاوجود، إنَّه تأمل لا تعرف ماهيته؛ إذ لا تتمثل فيه الرموز وإن كان كل شيء هو تجسيد لفكرة ما وكل فكرة تجسد لشيء ما، «فلا شيء موجود، والكل يصير، وبتعبير أدق، إنَّ الكل هو صيرورة بغير جوهر» (فكل شيء فارغ، والكل لا جوهر له) كما يقول بوذا^{١٥}.

ويضيف على هذا محمد عبد الرحمن مرحباً قائلاً: «إنَّ الفلسفة الفيديانية كما يعرضها اليوم راما كريشنا (Rama Krishna) تقوم على تحليل الحلم الذي لا يخرج في مجموعته ومحتوياته عن أن يكون انعكاساً (projection) للعقل في الزمان والمكان والعلية. وانطلاقاً من هذا المعنى يذهب حكماء الهند إلى أنَّ العقل يخلق كل شيء، سواء في ذلك موضوعات الحلم أو موضوعات اليقظة، حتى إنَّ جميع هذا العالم التجريبي ما هو إلا حلم كوني عظيم، ولا قيمة له تزيد على سائر أحلامنا. وهكذا فكل شيء إنما هو نتاج عقولنا، وما الكون بأسره إلا سراب في سراب»^{١٦}.

الملاحظ من هذا القول السابق أنَّ في تجربة اليقظة والحلم والنوم العميق - كما صنفهما الكاتب محمد عبد الرحمن مرحباً - تتكشف لنا حقيقة مطلقة، إنها رؤيا روحية سرمدية بحسب اعتقادهم، ورغم التناقض الذي يبدو

١٣. مرحباً، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٦٣.

١٤. مرحباً، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٦٤.

١٥. مرحباً، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٦٥.

١٦. مرحباً، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٦٧.

هنا بالنسبة إلى أصحاب النظر العقلي؛ إلا أنها تجربة تفتح على إمكان الانعتاق والتحرر والاتحاد؛ لتحقيق السعادة القصوى بعد أن تحقق الاتصال بالذي هو صورة العالم والروح المطلق إن صح التعبير، إنَّه الإله العلة الفاعلة لكل شيء^{١٧} كما تحدث عنه الفارابي والمحرك الأول بلغة ابن باجة.

لعلنا الآن نرى إشارات جلية لتأثير الحضارة الهندية ونمط تفكيرها في العقل اليوناني والإسلامي إلى حد سواء، ورغم هذا تبقى للفلسفة اليونانية وطبيعة تكوينها العقلي خصائص متفردة؛ لأنَّ التفكير الهندي أدى في مراحل هامة إلى «تعطيل الملامح الرئيسية للتفكير الفلسفي كما برز عند اليونان»^{١٨} لما يؤدي من دور يتنكر به على الوجود والواقع والذات الإنسانية التي عجز عن التعبير عنها مما يروم إلى عجز في التعبير عن فكر الحضارة التي يمثلها، وذلك في شكل متسق تسكنه روح النظام، إنَّه تفكير عجز على عكس اليونان أن يجمع بين الحقيقة والحياة ليوكب هذه العملية تطور وتقدم نحو الأفضل.

فلطالما كان الأمر كذلك، أجل؛ لطالما كانت الأفكار هي ما تبني الحضارات كما كان يمكن لفكرة أن تهدمها، «والخلاصة، إنَّ التفكير الهندي قد حطم الإنسان وهو يدعي تأليه الإنسان!»^{١٩}.

د - في خصائص العقلية الصينية:

يدور جوهر تفكيرهم على تقابل الظواهر والمفاهيم (الليل والنهار، الخير والشر، الحق والباطل...) والاعتقاد أنَّ كل طرف مكمل للآخر ومُوجَدُّ به؛ لذلك يمكن اعتباره لحد ما تفكيراً وليد التصورات الطبيعية القديمة، حيث يفسر بحسبها سير الحياة وتديير الإله فيها، ويربط بين الأشياء، الشيء الذي يكفل معه ديمومة نظامها فيتحقق منه الانسجام والاستقرار والسلام المطلوب لدى هذا المجتمع.

لذلك؛ يعمل الإنسان حسب هذا الرأي على أن يوجه سلوكه وأفعاله وفق هذا النظام الإلهي ليتحد بالكون وبصير جزءاً منه. كما تتميز عقلية الإنسان الصيني هنا بطابع يخرج عنا ما هو منطقي، فيجعل الحكمة أمراً خارجاً عن دائرة المنطق وبهرج البرهان^{٢٠}، ففي النهاية تعتبر الحقيقة بالنسبة إلى الحضارة الصينية أمراً «لا يمكن الوصول

^{١٧} صالح، سعد الدين السيد، قضايا فلسفية في ميزان العقيدة الإسلامية، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة ٤٥، الطبعة الأولى ١٩٩٨، الصفحة

١٣.

. مرجب، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٦٩. ^{١٨}

. مرجب، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٦٩. ^{١٩}

. مرجب، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٧٢. ^{٢٠}

إليها بالبلاغة والمنطق، حتى ولا بالمعرفة التحليلية؛ بل بالعلم اللدني والكشف الصوفي، إنها لا تعرف بفن العبارة والمقال، ولكنها تنال بالذوق والحال»^{٢١}.

مع هذا، نفهم أن العقل الصيني لا يختلف كثيراً عن طبيعة العقل الهندي، فإذا كان المنطق الآلة (أو الصناعة) التي تعتبر أهم مقومات العقل والتفكير اليوناني، فبالنسبة إلى هاتين الحضارتين يعتبر لا معنى له في مركزية تفكيرهم النظري والعقلي.

إجمالاً، لم تخرج الحكمة الصينية عن المألوف لدى باقي الحضارات؛ فهي لم تستطع أن تبني لنفسها مذهباً تساهم به في تطور ورقي الإنسانية؛ لأنها كانت تفتقر إلى التوازن العقلي، ويمكن أن نلخص أهم أفكار هذه الحضارة انطلاقاً من تيارين:

الأول: تيار كنفوشيوس (Confucius) الذي يولي أهمية كبرى للشعائر الدينية وما يتصل بها من حقائق، حيث يجعلها أساس النظام الكوني والاجتماعي؛ لذلك «هو يركز كل الحكمة في الإنسان الذي هو بالنسبة إليه موضوع المعرفة»^{٢٢} بعيداً عن كل صور العقل. إذ قضى اهتمام هذا الاتجاه بأن يتم التركيز فقط على الأخلاق وأهدافها القصوى التي تصب في تحقيق الخير للدولة والإنسان والانقياد بروح القانون وإبداء الولاء للآباء (هسياءو hsiao)^{٢٣} واتباع تقاليدهم والحفاظ عليها.

أما بالنسبة إلى التيار الثاني المسمى بمذهب الطاوية الفلسفي، فتوجه نظره إلى الموسيقى الروحية وما تخلفه في النفس في تحقيق السكينة، فلا يعبأ الفرد بعد الاستماع إليها بهموم الحياة ولا يعيش مثقل الكاهل؛ لذلك سميت فلسفة هذا المذهب بفلسفة السكينة أو الطمأنينة، «فالطاوية ألهمت ديانة التصوف، وأصولها أقرب إلى الديانة الشعبية عند القدماء فهم يسعون إلى دخول عالم المعرفة عن طريق غيبوبة الشامان أكثر مما يفعلون ذلك عن طريق سجلات القدماء ووثائقهم»^{٢٤}. وبالتالي؛ نفهم أن التيار الأول كان ديانة البلاط وسادة القوم في حين حافظت الطاوية التي تأسست على يد "لاو تسو" على جذورها الشعبية مخاطبة العواطف فيهم وداعية إلى النزوع إلى التأمل الصوفي.

٢١. مرجب، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٧٢.

٢٢. مرجب، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٧٣.

٢٣. عالم الفكر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاي، مشرف التحرير: جفري بارندر، العدد ١٧٣، الصفحة ٢٤٢.

٢٤. عالم الفكر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاي، مشرف التحرير: جفري بارندر، العدد ١٧٣، الصفحة ٢٥٣.

و - بالنسبة إلى العقلانية الإغريقية:

تأسس هذا الوعي التاريخي عند فلاسفة اليونان على مقومين أساسيين هما: العلية والتطور (أو التغيير)^{٢٥}، وكان هذا نتيجة لتأملهم الدؤوب والجاد في العالم الطبيعي مما استفز في أذهانهم التساؤل عن أصله، وطبيعة علاقته بالإنسان والإله. كما صاحب هذا التأمل العميق تساؤلات حول قضايا إنسانية بحتة انطلقت من التاريخ لتراهن به على الحاضر فتجني ثمار الحضارات، بهذه الطريقة استفاد اليونان منها - أي الحضارات التي سبقت - الأمر الذي خوله أن يؤسس لنفسه مذهباً إنسانياً فكرياً صرفاً، «إنَّ هذه التأملات، وتلك التساؤلات بما تمخضت عنه من إجابات قد تولد عنها وتشكل عبرها بعض المقومات الأساسية التي اقتنع اليونانيون أنَّه لا يصح التفكير الإنساني من دونها وأنها تمثل المقدمات الضرورية للبحث الفلسفي في الطبيعة أو في التاريخ على حد سواء»^{٢٦}. إذن؛ تلخص أحد أبرز مقومات الوعي التاريخي عند اليونان كما رأينا على مفهوم "العلية" حيث إنَّ لا شيء يحدث انطلاقاً من ذاته إلا لغاية ما، ومفهوم "التغير" نظراً لإيمان الفلاسفة اليونانيين في أن كل شيء في حركة مستمرة؛ لذلك ذهبوا في بحثهم عن القانون الأساسي إلى التطور التاريخي حيث إنَّ «الجميع أدركوا أنَّ أحداث التاريخ البشري تتطور من خلال التغير الذي يطرأ على كل شيء»^{٢٧}.

لعلنا الآن قد استنتجنا مدى فعالية العقل اليوناني من حيث طرحه لأسئلة الحياة والوجود بروح أكثر إبداعاً، منبئاً بذلك لولادة حضارة ستسكن كل الأجيال والحضارات التي ستليها، إنها حضارة أصلت للمفاهيم وخلفت أبرز الفلاسفة والمفكرين في تاريخ الإنسانية، إنهم الإغريق الذين انطلقوا بالنظر في الوجود بكل إمكاناته، ليحددوا لنا القانون العام للأشياء والظواهر ويعرِّوا لنا روح الكون بالتفسير والشرح في سياق تنتظم خيوطه كشبكة العنكبوت، وعلى عكس شبكة العنكبوت؛ فإذا كان لها أجل، فأجل هذه الفلسفة كان أن تبقى وتستمر إلى غاية الآن؛ وبالتالي أتساءل عن أي عقل إنساني في غاية الجمال والإتقان في حبكة هذا الذي سكن التاريخ وسكن الحاضر؟

إنَّه العقل الإغريقي (اليوناني)، الذي اهتم على عكس ما سبقوه من حضارات بالمنطق والمنهج والعقل بدل الحدس والذوق؛ حيث ذهب بهم الرأي إلى اعتبار «ما يخالف العقل فهو غير موجود ولو شهد الحدس بوجوده، وما يوافقه فهو وحده الموجود ولو لم يصل إليه الحدس. ومن هنا تفرقتهم بين عالم الحقيقة والمثل، وعالم الظن

^{٢٥} . النشار، مصطفى، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ.. قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة، الصفحة ٥٥.

^{٢٦} . النشار، مصطفى، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ.. قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة، الصفحة ٥٤ - ٥٥.

^{٢٧} . النشار، مصطفى، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ.. قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة، الصفحة ٦٢.

والوهم والخيال»^{٢٨}. فأى عقلية هذه؟ وأي منهج منوط بالتأمل والتفكير هو هذا؟ فرغم أنها حضارة عرفت في بدايتها الساذجة تضليلاً وسكنتها الخرافة، لكنها عرفت فيما بعد انتقالاً مرموقاً في مجال الطبيعيات والرياضيات والهندسة، وهي علوم أول ما بحثت فيه هو أصل العالم.

وبالتالي؛ انتقلوا من محاولة تفسير الطبيعة والكون والوقوف على أسرارهما إلى تعميق النظر والكشف عن درر المعاني حول أسرار الحياة والوجود. نعم، إنّه انتقال ملحوظ تحقق مع سقراط الروح الفلسفية الخالصة ورمز التضحية في سبيل الفضيلة، سقراط الذي خلق للفلسفة طابع التميز والتفكير الفلسفي خاصة الانفراد، حيث عمل على المفاهيم بتدقيق وحرص شديدين، وغوص في عمق المعاني والدلالات لتتولد معه جواهر التفكير الفلسفي التي انبنت عليها قيمه وقيم من خلفه.

ولا يفوتنا أن نرد عوامل هذا التميز العقلي والنظري لدى الإغريق إلى تحررهم من سلطان العقيدة الدينية عكس باقي الحضارات التي شهدت نفوذ رجال الدين وهيمنتهم. ثم إلى تحررهم من حكم الملوك الجائر وسطوة الحكام، فقد كان الحاكم إبان عصرهم في تشاور دائم مع مجلس الشيوخ^{٢٩} وهذا الأمر كان من اللازم أن يواكبه إحساس بالمسؤولية ووعي بقيمة الوظيفة التي ينتحلها كل فرد؛ لذا كان المجتمع حريصاً على المصلحة العامة للشعب والعليا للدولة أكثر من مصلحة الفرد الجشعة. وكنيجة لهذه السياسة المعقنة والراشدة؛ انفتحت الأذهان وتحرر الفكر من قيود الغوغاء والبهائم، «فأعدا أعداء الفكر الضغط وكبت الحريات تمارسها سلطة غشوم دينية أو زمنية»^{٣٠}.

خلاصة القول؛ يمكن أن نجزم أنّ الحضارة اليونانية نهلت من الحضارة الفارسية والهندية والصينية والمصرية علومها واستفادات منها أيما استفادة، حيث إنها حرصت على تلقيح أفكارها والتفاعل معها ليحدث تطور فيها، فتخرج بنسق فكري متميز غير مسبوق له، يلفت النظر إلى البحث في الأصل والعلل. أي عبقرية هذه التي استفادت من علم وفن ثلاثة آلاف سنة لتخلق لنفسها ولنا فلسفة اعتبرت أمّ العلوم وأرقى درجات الفكر الإنساني.

٢٨ . مرجبا، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٧٥.

٢٩ . مرجبا، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٨٠.

٣٠ . مرجبا، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٨٠.

٢ - الأساس الفكري والفلسفي لمدرسة الإسكندرية

وبعد، فإنَّ الفكر اليوناني قد شهد غزوًا جديدًا يكاد يتميز عما سبقه من تيارات في الفلسفة اليونانية، هذا التيار بحسب عبد الرحمن بدوي: «بلغ أوجه عند شخصية فلسفية تعد من الطراز الأول بين الفلاسفة الذين عرفتهم الإنسانية جمعاء، ونعني بها شخصية أفلوطين»^{٣١}. وقد بنى الباحث تصوره هذا على أساس أنَّ أفلوطين هو أول من بلغ به الأمر إلى القول بوجود المبدع الأول بالنسبة إلى باقي المخلوقات؛ ففصل بين الأول المبدع وبين باقي المعقولات، وعلى أساس أنَّه الوحيد الذي استطاع أن يشرح بشكل منظم كيفية نزول الإنسان بالتدريج من الواحد حتى المادة فشرح على إثره علاقة التوسط (أي توسط الأشياء)، وهو ذكر هذا الأمر مقارنة مع آراء فيلون الإسكندراني الأمر الذي دفعنا إلى التساؤل عن مدى حضور أمونيوس ساكاس داخل إنتاجه الفكري "خريف الفكر اليوناني"؟ ولماذا اعتبر عبد الرحمن بدوي أفلوطين أول مؤسس للأفلاطونية المحدثة حيث يقول: «والشخصية الأولى التي أسست هذه المدرسة هي أفلوطين الذي ولد بمصر في مدينة ليقوبوليس»^{٣٢}، وما مدى صحة هذا الافتراض؟ ما هي سمات أمونيوس ساكاس الفلسفية وأهميته داخل المدرسة؟ كيف يمكن أن نعتبره أساسها وعمودها الفعلي؟ وإلى أي درجة بلغ من النبوغ في فكره لافتراض إمكان تبني المدرسة لأفكاره الفلسفية والدينية بل وجعلها منطلقًا لها لتؤدي في الأخير بالمدرسة إلى تأسيس مذهبها؟ وهل حقًا يمكن أن نعتبر أنَّ فكر أمونيوس الفلسفي والديني ظل رهين التوفيق بين أفلاطون وأرسطو فقط، أم إنَّه تميَّز عنهما برأي مخالف لهما؟ كيف يمكن أن نفسر ذلك؟

أ - أمونيوس ساكاس مدخل فلسفة الأفلاطونية المحدثة:

شهدت مدرسة الإسكندرية خصائص كان يطبع حضارتها وفكرها أثر امتزاج الفكر اليوناني بالشرقي، من هذه الخصائص كان حضور فكر أفلاطون القوي والعناية به أشد عناية، ثم محاولة توفيق آرائه المتعارضة مع أرسطو في حدود ما يتفق مع الكتب المقدسة^{٣٣}. إلى جانب هذا الأمر، عرف المجتمع إبان ذاك العصر تشييعًا كبيرًا بالأفكار الدينية حيث أصبح له بليغ الأثر في تطور الفكر الفلسفي، مما رافقه انتشار لأفكار الصوفية والاعتقاد في الغيبات والخوارق إلى جانب ظهور السحر والتنجيم بشكل قوي وبارز^{٣٤}.

^{٣١}. بدوي، عبد الرحمن، خريف الفكر اليوناني، خلاصة الفكر الأوروبي، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، الصفحة ١٠٩.

^{٣٢}. بدوي، عبد الرحمن، خريف الفكر اليوناني، خلاصة الفكر الأوروبي، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، الصفحة ١٢٠.

. مرجبا، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٢١٨. ^{٣٣}

. مرجبا، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٢١٨. ^{٣٤}

وأخيراً، شهد نوع من الفصل بين العلوم والفلسفة حيث صارت العلوم الحقة ك: «الكيمياء وعلم الفلك وعلم الطب [...] تنفصل عن دوحه الفلسفة بعدما كانت جزءاً لا يتجزأ منها»³⁵. من هنا كانت انطلاقة الأفلاطونية المحدثة ونشأتها، من هذه الحركات والتقلبات التي سادت في المجتمع، فأنت كمنذهب يلبي مطامح الإنسان في حاجته العقلية والدينية والأخلاقية.

لقد كانت الإسكندرية مهداً للأفلاطونية المحدثة، وما لبثت أن انتشرت فلسفتها في باقي أرجاء الإمبراطورية الرومانية؛ لذلك يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن المذاهب الفلسفية لكل من أمونيوس ساكاس **Ammonius saccas** وأفلوطين **Plotin** وفورفوريوس **Porphyre** وبامبليكوس **Iamblique** وهيرقليطس **Hiéroclès** وبرقلس **Proclus** وألمبيودورس **Olympiodore**، مذاهب تتحد وتساهم في بناء وتشكيل فكر أفلاطوني محدث أكثر مما هي فلسفة-إسكندرية³⁶.

حينما برز أمونيوس ساكاس سقطت مدارس المتحف في دائرة العجز، بحيث لم تدل على حيوية أو إشارة على التحول تعبر عن فلسفة جديدة؛ لذلك اعتبر أمونيوس المؤسس الحقيقي للأفلاطونية المحدثة وقد اتفقت كل الروايات التاريخية على هذه الفكرة³⁷.

فقد كبر داخل أسرة مسحية، لكنه تخلى على هذه الديانة التي ترعرع وسطها من أجل الفلسفة الحقة، وبما أن الفلسفة الإغريقية كانت فيها فكرة تعدد الآلهة فمن المرجح أن أمونيوس ساكاس بقي حريصاً على بعض مبادئ

. مرجب، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨، الصفحة ٢١٩. ٣٥

³⁶. Vacherot, Étienne, Histoire critique de l'école d'Alexandrie, ouvrage couronné par l'institut académie des sciences morales et politiques, tome 1, paris, librairie philosophique de lardange, 1846, page 341.

³⁷. «Quand Ammonius parut, les écoles du Musée étaient tombées dans la plus triste impuissance; nul signe de vie, nul symptôme de transformation n'y annonçait une philosophie nouvelle. L'impulsion vint du dehors. Ce fut le spectacle des grandes écoles religieuses de l'Orient en face des misères de la philosophie grecque; ce fut surtout l'inspiration d'un esprit nouveau qui suscita le Néoplatonisme alexandrin. Loin d'en être l'origine et le principe, c'est à peine si on peut dire que le Musée en fut le berceau.

Ammonius est le vrai fondateur du néoplatonisme : tous les témoignages des historiens de cette époque s'accordent à le reconnaître», Vacherot, Étienne, Histoire critique de l'école d'Alexandrie, ouvrage couronné par l'institut académie des sciences morales et politiques, tome 1, paris, librairie philosophique de lardange, 1846, page 341 - 342.

المسيحية بل ومعتزلاً ببعض أفكارها، ونقول هذا الأمر نتيجة لكلام فورفوربوس Porphyre الذي تحدث عن دروس أمونيوس في المسيحية فكان أحد الذين تلقوها منه هو هيرقليطس نفسه.

انطلاقاً من هذه الشهادة، استنتج أوزيب Eusébe والقديس جيروم Saint Jérôme أن أمونيوس ساكاس بقي مسيحياً حتى وافته المنية، غير أن استنتاجهما هذا مغلوط ويعارض ما هو متعارف عليه؛ حيث لإنهما خلطاً بين أمونيوس ساكاس وأمونيوس ابن هيرمياس^{٣٨} - (الذي له مجموعة من المؤلفات في المسيحية من بينها "التوافق بين موسى وعيسى")^{٣٩}؛ نظراً لكونه يحمل الاسم نفسه وعاش في الحقبة نفسها. في حين أن أمونيوس ساكاس حسب شهادتي Longing وفورفوربوس Porphyre مؤسس الأفلاطونية المحدثة لم يكتب قط وأن تعاليمه تواترت عن طريق مردييه^{٤٠}. ويغض النظر عن هاتين الشهادتين، فإن أسلوب الأفلاطونية المحدثة وأهدافها تدل بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه المدرسة ذات أصول يونانية عريقة، ومستقلة تماماً عن أي معتقد ديني.

ويذهب رأي ثانٍ إلى نفي هذا الأخير أي مسيحية أمونيوس ساكاس واحتفاظه ببعض التعاليم المسيحية، حيث يجعل سبب القول به يعود إلى تشابه الأحوال والظروف التي نشأت فيها كل من المسيحية والأفلاطونية المحدثة؛ إذ لا يجب أن يفيد هذا التشابه ضرورة افتراض تأثير إحداهما في الأخرى. من ثم، ذهب عبد الرحمن بدوي إلى كشف هذا الخلط فيقول: «فالمسيحية وإن كانت نشدت، كالأفلاطونية سواء بسواء؛ الفناء في حقيقة عليا يجب على الإنسان أن يعتمد عليها، بل ويفنى فيها، فإنها فهمت هذه الحقيقة العليا على أساس عيني تاريخي، فربطت هذه الحقيقة بأحداث تاريخية معينة وأشخاص معينين. أما الأفلاطونية المحدثة؛ فقد نظرت إلى المسألة من الناحية العقلية الصرفة، وأقامت من أجل هذا مذهبها في جو من الحرية التي لا تتعلق بفرد أو حادث»^{٤١}. فأقام لهذا الكلام دليل التعارض الذي بين المسيحية والأفلاطونية المحدثة؛ حيث إن الأولى تنزل

^{٣٨}. يعتبر أمونيوس بن هرمياس أحد كبار العلماء الرياضيين الذين حظوا بمكانة جليلة الشأن، فقد اعتُبر محيي المدرسة الإسكندرية العلمية أوائل القرن السادس، فقسّم الرياضيات إلى أربعة فروع رئيسة وهي: الأثرماتيقي، والهندسة، والفلك، والموسيقى. وفي هذه الفترة شهدت العلوم نهضة قوية شاملة لاحتكاكها بالحضارة البابلية والمصرية والإغريقية، وفي مقابل هذه النهضة تم تراجع كبير بالاهتمام باللاهوت والتصورات الدينية والصوفية. انظر: أبو جحف، محمد محمود، مدرسة الإسكندرية الفلسفية "التاريخ الحضاري والحوار الفكري بين الفلسفة والدين"، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الصفحة ٤٣.

^{٣٩}. Vacherot, Étienne, Histoire critique de l'école d'Alexandrie, ouvrage couronné par l'institut académie des sciences morales et politiques, tome 1, paris, librairie philosophique de lardange, 1846, page 342.

^{٤٠}. Vacherot, Étienne, Histoire critique de l'école d'Alexandrie, ouvrage couronné par l'institut académie des sciences morales et politiques, tome 1, paris, librairie philosophique de lardange, 1846, page 343.

^{٤١}. بدوي، عبد الرحمن، حريف الفكر اليوناني، خلاصة الفكر الأوروبي، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، الصفحة ١١٧.

بالإلهي إلى مستوى الإنساني، في حين نرى العكس مع الأفلاطونية المحدثة حيث إنها تبدأ من الإنساني كي ترتقي به إلى مقام الإلهي. «وإننا لنجد هذا ظاهرًا منذ اللحظة الأولى؛ إذ نجده عند أمونيوس ساكاس، وقد كان مسيحيًا، فيما يقال، أول الأمر، ثم انتقل من المسيحية إلى الأفلاطونية المحدثة وبالتالي إلى الشرك. ويكاد يكون المجهود الذي بذله الأفلاطونيون المحدثون خصوصًا فيما ورد لنا عن فورفوريوس، متجهًا إلى الدفاع عن الشرك ضد المسيحية، حتى إنه ليتمكن أن يقال إن الأفلاطونية المحدثة قد كونت أصول مذهبها كنتيجة لردّها على المسيحية»^{٤٢}.

لن يتأتى لنا الوصول إلى جوهر تعاليم أمونيوس ساكاس انطلاقًا من كتابات أفلوطين؛ إذ سيكون هذا الأمر بمثابة استنباط تعاليم سقراط من كتابات أفلاطون، ورغم ذلك يمكننا الوصول إلى أفكار واضحة نوعًا ما بالرجوع إلى الشهادات التاريخية حول أمونيوس. ويعتبر فورفوريوس أوثق وأنفس مصدر بخصوص أمونيوس، حيث يقول أفلوطين: «لقد أظهر فورفوريوس في تأملاته عبقرية فذة ومستقلة تستحضر روح أمونيوس، فقد كان يستحضر أقوال أمونيوس ويفسرها في كلمات معدودة»^{٤٣}.

وبما أن شهادات فورفوريوس **Porphyre** الملقب بـ "روح أمونيوس" تعزز فلسفة أفلوطين؛ يمكننا اعتبار فورفوريوس مصدرًا من المصادر التي اعتمدها أفلوطين بخصوص أمونيوس ساكاس، وأن أفلوطين **Plotin** قد استلهم مبادئ التفكير من فورفوريوس بما فيها: التميز واستقلالية الفكرة ثم قوة وعمق التأمل^{٤٤}.

لا يمكن تعريف أساس تعاليم أمونيوس ساكاس أوضح مما فعل هيرقليطس حينما قال: «هذه الطريقة في التفلسف بقيت في المدارس الفلسفية إلى حين ظهور أمونيوس الإسكندرية، ملهم الإله. لقد كان الأول الذي

^{٤٢}. بدوي، عبد الرحمن، خريف الفكر اليوناني، خلاصة الفكر الأوروبي، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، الصفحة ١١٧ - ١١٨.

^{٤٣}. Vacherot, Étienne, Histoire critique de l'école d'Alexandrie, ouvrage couronné par l'institut académie des sciences morales et politiques, tome 1, paris, librairie philosophique de lardange, 1846, pages 343 - 344.

^{٤٤}. Vacherot, Étienne, Histoire critique de l'école d'Alexandrie, ouvrage couronné par l'institut académie des sciences morales et politiques, tome 1, paris, librairie philosophique de lardange, 1846, page 344.

تمسك وبكل حماس بالفلسفة الحققة غير مكترث بالآراء التي تعتبر الفلسفة موضوع ازدراء. فهم جيداً مبادئ أفلاطون وأرسطو وجمع بينهما في نهج واحد أوصله بسلام إلى تلاميذه»^{٤٥}.

ويضيف هيرقليطس قائلاً: «عقب التضاد بين المذهبين المذكورين، البعض تبني أفكار الخصام والإقصاء في حين استسلم البعض الآخر للأفكار المسبقة والجهل. هكذا كان حال معظم الفلاسفة حتى سطع نجم الحكمة العليا لأمونيوس والذي نعرفه باسم ملهم الآلهة. لقد كان هو الذي طهر آراء الفلاسفة القدماء وسد الثغرات من هنا وهناك، محدثاً بذلك توافقاً بين مذهبي أفلاطون وأرسطو معتمداً على ما هو أساسي وجوهري فيهما»^{٤٦}. وبالتالي؛ نفهم أهمية وقيمة الدور الذي لعبه أمونيوس ساكاس حين جمع الفلسفة على عموديتها الأساسيين وهما أفلاطون وأرسطو، وفي هذا الشأن نستوعب هدف فلسفته وجوهرها ومنهجها القائم على البحث التاريخي والموضوعي^{٤٧} كما هو متعارف عليه اليوم.

فقد اعتمد على تناول تاريخ الفلسفة مما مكنه من التعرف على جوانب الأصالة والإبداع وجوانب التقليد والتأثر بالغير، هذا وساعده منهج البحث التاريخي على التعرف على الظروف الثقافية والاجتماعية المؤثرة في شخصية الفيلسوف الذي كان موضوع دراسته أو تعاليمه، وفيما يخص منهج البحث الموضوعي فقد ذلك تجلّى في شخصية أمونيوس ساكاس على اعتبار أنه يقدم لنا قضيته الخاصة في موضوع التوفيق بين المذاهب والمدارس، وفي هذه العملية لا يخرج عن معالجة قضايا فلسفية ترتبط بالوجود والقيم والمعرفة.

إذن؛ نستطيع القول إن أمونيوس ساكاس فيلسوف مؤثر حقاً في أفكار من خلفه في مدرسته بشكل كبير، والشاهد على هذا أفلوطين تلميذه وفورفوربوس الملقب بروح أمونيوس... فقد عمل عملاً أتم بغايته منه، وهذه الغاية توافقت مع المبادئ الكاملة للحياة؛ ولهذا نجح مذهب الأفلاطونية المحدثة في ترسيخ أعمدته وشهد انتشاراً واسعاً لأفكاره بلغت حد التأثير في الفلسفة الإسلامية والعقل الإسلامي والتي ما زالت مستمرة معنا إلى اليوم تدرس وتناقش.

⁴⁵. Vacherot, Étienne, Histoire critique de l'école d'Alexandrie, ouvrage couronné par l'institut académie des sciences morales et politiques, tome 1, paris, librairie philosophique de lardange, 1846, pages 344 – 345.

⁴⁶. Vacherot, Étienne, Histoire critique de l'école d'Alexandrie, ouvrage couronné par l'institut académie des sciences morales et politiques, tome 1, paris, librairie philosophique de lardange, 1846, page 445.

⁴⁷. صالح، سعد الدين السيد، قضايا فلسفية في ميزان العقيدة الإسلامية، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة ٤٥، الطبعة الأولى ١٩٩٨، الصفحة

٣ - مسألة التصوف عند أمونيوس ساكاس

التصوف ليس ديانة، بل هو علم إلهي أو معرفة إلهية، المعنى الحقيقي لهذا المصطلح *theosophy* هو الحكمة الإلهية، وهي مشتقة من *theosophia* بمعنى حكمة الآلهة، وكلمة *theogonia* هي رمز لإله لدى الإغريق وهو أحد الآلهة الأولى، بالتأكيد ليس الإله الذي يرتبط بإدراكنا للمصطلح في أيامنا هذه؛ ولذلك ليست "حكمة الإله" كترجمة لأي كان، لكن "الحكمة الإلهية" كامتلاك إلهي، هذه العبارة تعود بنا إلى آلاف السنين.

كلمة *theosophist* أتت من الفلاسفة الإسكندرانيين وسموا بـ: محبي الحقيقة *thilaletheians* وهي كلمة مشتقة من حب *phil* والحقيقة *aletheia*. أما اسم *theosophy* فقد بدأ مع أمونيوس ساكاس وأتباعه الذين بدؤوا نظامًا صوفيًا تلقائيًا.

كان هدف هذا النظام في البداية على الإطلاق الطبع في الذهن بشكل مؤكد على أن أعظم الحقائق تابعة، وكل هؤلاء الذين كانوا محبي الحقيقة من هنا؛ ولهذا السبب تبنى المجتمع الصوفي شعار «ليست هناك ديانة أعلى من الحقيقة»⁴⁸.

التصوف التلقائي كان موزعًا إلى ثلاثة رؤوس:

١ - الاعتقاد في كمال/ مطلق واحد، غير مفهوم وهو إله أسمى، أو جوهر لا نهائي، أصل كل الطبيعة ولكل ما هو ظاهر أو غير مرئي، أي إن الإله هو مركز الكون وهو مسبب الأشياء وأصل لوجودها.

٢ - الاعتقاد أن في الإنسان جوهرًا طبيعيًا سرمديًا، بسبب وجود إشعاع لروح العالمي، هو جوهر مطابق لها، بمعنى أن روح الإنسان هي روح مشتركة وفيه جزء من الروح المطلقة المطابقة لها.

٣ - *theurgy* بمعنى عمل إلهي أو إنتاج عمل إلهي، هذه الكلمة مشتقة من آلهة *theoi* والعمل *ergein*، هذه العبارات ليست شائعة الاستعمال، لقد كانت خاصة بالمعتقد الصوفي والأشخاص الروحانيين، ومفاد هذا أن المرء يمكن أن يحرك الآلهة ليضفي إلى نفسه ألبانًا إلهية، ورغم أنه بسببهم يصبح من حين إلى آخر مرئيًا إما بشكل موضوعي أو من ناحية شخصية- عاطفية، فلقد كانت تتجاوز وجه ما نسميه الروحانية، أي الاعتقاد

⁴⁸. H.P.Blavatsky, the key to theosophy, being a clear exposition, in the form of question and answer of the ethics, science, and philosophy, page 1.

بإمكانية الاتصال بالأرواح، أي إنَّ الإنسان فيه شيء إلهي وعبر التطور بأداء مجموعة من الطقوس يصبح هذا الإنسان يقوم مقام الآلهة.

من أتباع أمونيوس ساكاس، (ملهم الإله theodidaktos): أفلوطين Plotin وفورفوروريوس Porphyre، وقد رفضا فكرة "العمل الإلهي" بالدرجة الأولى. فقد كان أمونيوس من أبوين مسيحيين والذي صُد منذ طفولته من قبل مسيحي متعصب لآرائه، وأصبح هو الأفلاطوني المحدث؛ إذ يقول إنَّ الحكمة الإلهية تظهر له في الأحلام أو على شكل رؤى⁴⁹، لهذا السبب سمي باسم ملهم الإله، فهو يحلُّ ليصالح كل نظام ديني ببرهانهم، وعلى الأصل نفسه يؤسس عقيدة كونية تتأسس بدورها على علم الأخلاق⁵⁰.

إذن؛ الهدف الرئيس من إيجاد مدرسة التصوف كان معالجة كل الأديان والطوائف والأمم تحت نظام مشترك لمبادئ علم الأخلاق يستقر على حقائق خالدة. هنا يطرح سؤال: هل من الممكن أن تستقر كل الديانات على الواحد وعلى الحقيقة نفسها؟

يجيب المتصوفة بأنَّ "الحكمة-الدين" كانت واحدة في العهد القديم، ويقولون: إنَّ كل العبادات القديمة تدل على وجود صوفي وحيد سابق عليها، سبيل تحقيق هذا الأمر أن يفتح الواحد على الكل، ومن ناحية أخرى قد لا يكون السبيل الصحيح.

أ – سياسة المجتمع الصوفي:

في عهد أمونيوس ساكاس كان هناك تعدد وتنوع للديانات القديمة، وكان هناك الكثير من الطوائف خصوصاً في مصر وفلسطين، التوفيق بين الديانات هو العمل الذي كانت الأفلاطونية المجدثة تفعله وتعمل عليه، ذلك أنها كانت تنتمي لمختلف الفلسفات الدينية.

⁴⁹. H.P.Blavatsky, «Ammonius Saccas, how was called theodidaktos, god-taught... is said to have had divine wisdom revealed to him in dreams and visions». the key to theosophy, being a clear exposition, in the form of question and answer of the ethics, science, and philosophy, page 3.

⁵⁰. H.P.Blavatsky, the key to theosophy, being a clear exposition, in the form of question and answer of the ethics, science, and philosophy, page 2.

وبالتالي؛ نستطيع أن نرى الخطوط لأصل أو سلالة كل ديانة مسيحية، فما وقع أنه تم حدوث بعض التعديلات في أغصان-صور نمت على فروع أكبر، هذه الصور أو الفروع نبتت من الجذع نفسه ألا وهو "الحكمة-الدين"⁵¹.

كان أمونيوس يسعى لاستمالة الوثنيين والمسيحيين واليهود والمشركون لوضع كل الادعاءات والصراعات جانباً، والتذكير بأنهم كانوا جميعاً يمتلكون الحقيقة نفسها تحت مختلف الأثواب، وأنهم كانوا كلهم الأطفال أنفسهم لأم مشتركة.

أدرك أمونيوس ساكاس تعددية الدين؛ لذلك ذهب خطوة بخطوة مع الفلسفة ومع مشاركتها مصير الوجود، بدرجات وحدود تكف وتحجب أوهام الإنسان وخرافات وأكاذيبه؛ ولذلك يجب أن تعود إلى نقائها الأصل بتطهيرها من التفاهات وشرحها على غرار المبادئ الفلسفية، فهو يرى أن المسيح كان في ضوء إعادة واستعادة الحكمة القديمة البسيطة والمستقيمة، للحد من الحدود السائدة عالمياً لسلطة وسيادة الخرافات، في جزء للتصحيح وفي جزء آخر لإبادة مختلف الأخطاء التي وجدها سبباً لمختلف الديانات الشعبية.

هكذا هو أمونيوس على علم بالركائز القديمة لـ إرمياس hermes التي كان أفلاطون وپيتاغوراس يعرفونها قبلاً والتي من خلالها تشكلت فلسفتهم⁵². وبالتالي كان البحث عن الأصل هو بحث عن الاستقامة والنزاهة في مذهب الحكمة القديمة، وبالتالي حديث الكتاب المقدس وحكايات الآلهة اعتبرها رموزاً توضيحية للحقيقة وإلا فهي خرافات مرفوضة.

⁵¹. H.P.Blavatsky, «We can show the line of descent of every Chritian religion, as of every, even the smallest, sect. The latter are the minor twigs or shoots grown on the larger brancher, but shoots and branches spring from the same trunk- the WISDOM-RELIGION». the key to theosophy, being a clear exposition, in the form of question and answer of the ethics, science, and philosophy, page 3.

⁵². H.P.Blavatsky, «He had but to propound his instructions according to the ancient pillars of Hermes, which plato and pythagoras knew befor, and from them constitute their philosophy». the key to theosophy, being a clear exposition, in the form of question and answer of the ethics, science, and philosophy, page 4.

ب - حكمة الدين الباطنية في كل عصر:

من المتعارف عليه، أن كثيرًا من التعاليم لم تقدم كمطبوع ليتم تدارسه ويسهل تناول أفكار مؤلف الكتاب أو المعلم. كذلك الأمر بالنسبة إلى أمونيوس ساكاس فلم يحل إلى أي شيء مكتوب، مما يطرح أمامنا تساؤلًا: هل كان أمونيوس ساكاس مؤسسًا لنصوص مكتوبة أم إنه اكتفى بالمحاضرة الشفهية؟

تمامًا كما هو الشأن مع شخصيات تاريخية مشهورة كونت لنفسها صيغة وطابعًا رسوليًا **Apostolic** في كتاباتها على غرار تابعي (مريدي) أمونيوس ساكاس الذين كتبوا مفاوضاته **treatises** وشرحوا نظرياته حول الأخلاق **ethics**، كل هؤلاء تركوا إشارات متعددة لانتمائهم إلى نظام المدرسة الأفلاطونية المحدثة **Philaletheian** لحد الآن، وفي كل الحالات، كما أنهم يجاهرون بإيمانهم كما نعلم، وكانت أيضًا التعاليم بالمدرسة مقسمة إلى ما هو شائع وبسيط (مألوف)، وما هو سري باطني **esoteric**.

وبعد، نضع نصب أعيننا تساؤلًا مركزيًا: كيف بلغت هذه المعتقدات عصرنا الحديث، خصوصًا منذ أن تم احتضان ما يمكن أن نسميه على نحو ملائم بفكرة: الحكمة-الدين، التي كانت أمرًا باطنيًا؟ وما الدليل على أن هذا العلم أو المعرفة كانت باطنية؟ وما سبب هذه السرية في التعليم وإبلاغ المعرفة؟

تعتبر حكمة الدين مسألة حيوية؛ فقد كانت تمثل كل فرد، وكانت الكلمة الأخيرة للمعرفة الإنسانية المحتملة، كانت هناك صيانة أو حماية فائقة العناية بها، وكانت بوقت طويل محمية من قبل متصوفي المدرسة الإسكندرية **Alexandrian theosophists**، التي بلغت الحدثة والتي حفظت كل ديانة وفلسفة أخرى⁵³. وبالتالي شهدت نوعًا من الحرص الشديد من طرف مجتمعات كالمجتمع الهندي والآسيوي والفارسي والتي يمكن الجزم بأنها مجتمعات كان لها حظها في اهتمامها بالبحث عن الحقيقة.

⁵³ . H.P.Blavatsky, the key to theosophy, being a clear exposition, in the form of question and answer of the ethics, science, and philosophy, page 5.

أما فيما يتعلق بإثباتنا لسريتها (باطنيتها) كما هو معبر عنه⁵⁴، فهو مبني على أساس فكرة أن لكل عصر تصوره الديني وفلسفته، له طائفة دينية تصر على سرية تعاليمها، طائفة لها اهتماماتها الخاصة ومقام وسيادة مألوفان. علاوة على هذا، إنها حقيقة مشهورة بأن الطقوس الدينية السرية لدى القدماء تتألف من انطباع "العظيم" بالنسبة إلى ما هو (سري) و"الأدنى" لما هو (عام).

يعرف بروتاغوراس Pythagoras المعرفة الصوفية "Gnosis" بـ: «معرفة الأشياء بما هي عليه»⁵⁵، وحفظ هذه المعرفة هو لتعهد مريديه فقط: «من أجل هؤلاء الذين يستطيعون استيعاب أي غذاء روحي/ذوقي ويشعرون بالرضا»⁵⁶، ويتعهدهم بالكتمان والسرية. أمونيوس ساكاس حسب قول مدوني سيرته الشخصية، كان أيضًا يلزم تلاميذه (أو مريديه) pupils بأداء قسم بعدم البوح وإفشاء تعاليمه الكبرى (أي تلك التي في غاية السرية ودرجة قصوى من الخطورة) لمن لم يدرس المرحلة التمهيديّة للمعرفة.

يرى المتصوفة القدماء وأيضًا المحدثون أنه لا يمكن تعريف ما هو لامحدود بما هو محدود، بعبارة أخرى: لا يمكن أن نعرف المطلق بما هو متناهٍ؛ لذلك كان تحديد ماهية هذه "الحكمة السرية" وتفسيرها أمرًا يصعب على الكثيرين، لكن بالنسبة إلى البعض يعود بنا إلى تعريف قديم جدًا لأفلوطين Plotinus الذي حددها في قوله: «إنها تحرير العقل من إدراكه المحدود، حيث يصبح واحدًا ومتطابقًا مع اللامحدود»⁵⁷، وهذه هي أقصى حالة.

⁵⁴ . H.P.Blavatsky, the key to theosophy, being a clear exposition, in the form of question and answer of the ethics, science, and philosophy, page 5.

⁵⁵ . H.P.Blavatsky, «the knowledge of things that are», the key to theosophy, being a clear exposition, in the form of question and answer of the ethics, science, and philosophy, page 5.

⁵⁶ . H.P.Blavatsky, the key to theosophy, being a clear exposition, in the form of question and answer of the ethics, science, and philosophy, page 5.

⁵⁷ . H.P.Blavatsky, «the liberation of mind from its finite consciousness, becoming one and identified with the infinite», the key to theosophy, being a clear exposition, in the form of question and answer of the ethics, science, and philosophy, page 6.

التأمل هو سكون وعبادة استثنائية، أو كما عبّر عنه أفلاطون «العودة المتوهجة للروح إلى ما هو مقدس/إلهي، لا لتسأل أي خير معين، (كما هو شائع المعنى لدى العباد)، بل لأجل الخير ذاته؛ من أجل الخير المطلق»⁵⁸، لكوننا جزءاً من الكون، وخارج الجوهر الذي ينبثق لدينا جميعاً.

بناءً عليه، يضيف أفلاطون «يبقى السكون في الحضور الإلهي واحداً، إلى أن يرفع الحجاب عن عينيك ويُمكنك من الرؤية بالنور الذي انبثق منهم، ليس كما يبدو كخير لك، ولكن ما هو خير جوهري - فعلي *intrinsically good*»⁵⁹.

باختصار، بعدما تمكّننا من استشفاف هذا النوع من السرية في التعاليم الدينية، مما يطرح معه الكثير من التساؤلات في الأذهان، يمكن أن نرجع أسباب تكتّم فلاسفة - من قبيل الذين توقفنا على بعض أقوالهم وآرائهم - إلى سببين اثنين بحسب توضيح بلافاتسكي H.P.Blavatsky لذلك على لسان أحد المتصوفة:

- فالأول: يردّه إلى الانحراف والفساد الذي أصاب الطبيعة الإنسانية المعتدلة وأنانيتها، حيث أصبحت تميل إلى إشباع رغباتها الشخصية في أذية الآخرين كالأقارب وأفراد العشيرة، وأمثال هؤلاء الأشخاص لا يؤتمنون على أسرار التعاليم الدينية.

- أما الثاني: فالأنهم غير قادرين ولا هم مؤهلون على الإبقاء واحترام قدسية المعرفة وتعاليمها من التدنيس.

إنهم اللاحقون، حديثو العهد الذين قادوا إلى تحريف أكثر الحقائق والرموز إجلالاً، ثم بالتدريج تم تحويل شيء روحاني إلى مجسم ملموس، والأصنام والتمائيل الرخيصة إلى كلمات (معبرة عن العالم)، ليصل الأمر بعده من تقزيم وإعاقة لفكرة الإله إلى وثنية وحب أعمى⁶⁰.

⁵⁸ . H.P.Blavatsky, the key to theosophy, being a clear exposition, in the form of question and answer of the ethics, science, and philosophy, page 6.

⁵⁹ . H.P.Blavatsky, the key to theosophy, being a clear exposition, in the form of question and answer of the ethics, science, and philosophy, page 6.

⁶⁰ . H.P.Blavatsky, the key to theosophy, being a clear exposition, in the form of question and answer of the ethics, science, and philosophy, page 7.

رغم قلة المعلومات عن شخصية أمونيوس ساكاس لاعتبار، كما رأينا سابقاً، أنه كان يؤثر التعليم الشفاهي على الكتابة وحرص على أن تبقى تعاليمه سرية؛ إلا أن المتواتر عنه أنه حاول التوفيق بين آراء أفلاطون وأرسطو ولربما يزيد عليهم في «أهم الموضوعات الفلسفية حيوية، وهي الإله والنفس والعالم»^{٦١}، لكن هذا لا يمنع من الاشتغال على أمونيوس ساكاس بالمعلومات القليلة والهامة التي بلغتنا لمن يريد أن يدخل أبواب الأفلاطونية المحدثة ويجدها مفتوحة على مصراعها، وعلى إثر هذا الأمر، هناك قول ينسب إلى أمونيوس مؤسس المدرسة مفاده: «أن الإله قد صنع العالم دون أن يستخرجه من مادة سابقة»^{٦٢}، وهو بقوله هذا يكون قد خالف كلاً من أفلاطون وأرسطو ولم يتأثر بنفس المعنى السابق الذي كنا نفهمه؛ وبالتالي نفهم من قوله هذا أن خلق العالم كان انطلاقاً من إرادة الله دون تدخل عنصر من عناصر الطبيعة أولاً، ومن خلال كلامه السابق، لن يكون حديثه في النفس بعيداً عن تعاليمه، حيث عبّر عنها بـ «جوهر روحاني قائم بذاته، ولا تتغير طبيعتها باتصالها بالجسم»^{٦٣}، ومن خلال كلامه هذا نستشف مغزى عميقاً يماثل به خلق الإله، فإن كان الجوهر المطلق الذي هو "الله" خلق العالم انطلاقاً من إرادته فصير إرادته هذه إلى "مادة"، كانت هذه المادة لا تعيق أبداً الروح الإلهية ولا تعارضها؛ بل إنما تتجسد فيها عظمة وقوة الإله خالقها، لذلك قال أمونيوس ساكاس إن النفس «تتغير طبيعتها باتصالها بالجسم»^{٦٤}، وبالتالي سرت النفس الإنسانية في هذا الجسد وسكنته، والذي من المفترض أن يكون وسيلة للعبور والسمو إلى الإلهي، أي إلى كمالها الرباني فيها؛ فهو «يفسر هذا الاتصال بأنه عبارة عن ميل من النفس نحو الجسم حتى تفعل فعلاً شبيهاً بفعل الإله في العالم وهو في هذا الرأي أقرب إلى الهرمسية منه إلى أفلاطون أو إلى أرسطو»^{٦٥}.

ومنه اعتبر أمونيوس ساكاس أن للموجودات شعوراً متفاوت الدرجات من الوضوح بتدبير الإله الحكيم للعالم، وهذا الشعور يمكن أن نعتبره «بمثابة انعكاس النظام الإلهي على عقول متفاوتة النورانية»^{٦٦}.

على سبيل الختام:

^{٦١}. النشار، مصطفى، فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة، ٢٠٠٦، دار الثقافة العربية، الصفحة ٣٦٦.
^{٦٢}. النشار، مصطفى، فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة، ٢٠٠٦، دار الثقافة العربية، الصفحة ٣٦٦.
^{٦٣}. النشار، مصطفى، فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة، ٢٠٠٦، دار الثقافة العربية، الصفحة ٣٦٦.
^{٦٤}. النشار، مصطفى، فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة، ٢٠٠٦، دار الثقافة العربية، الصفحة ٣٦٦.
^{٦٥}. النشار، مصطفى، فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة، ٢٠٠٦، دار الثقافة العربية، الصفحة ٣٦٦.
^{٦٦}. النشار، مصطفى، فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة، ٢٠٠٦، دار الثقافة العربية، الصفحة ٣٦٧.

لقد عمل أمونيوس ساكاس بتركيز شديد على ألا يخرج عن الغاية الأسمى من الفلسفة، فرغم أن الكثيرين اعتبروا أن غايته في التفلسف كانت متوقفة على التوفيق بين المذاهب والتصورات؛ إلا أنه أمر لا يتوقف عند هذا الحد من الفهم فقط، فمن أمعن النظر في أفكاره سيجد أن هذه المحاولة من التوفيق كانت وسيلة ينتهجها فيلسوفنا أمونيوس لحقيقة أكبر من أنها تختزل في رفع التعارض، ولما قد يكون هذا الرفع إلا لمحاولة إيجاد سبيل لسعادة الإنسان، فالناظر في تصوراته الفلسفية والدينية يتمعن وتأن سيقف على ومضات وإشارات إلهية تدله على سبيل بلوغ السعادة الحقة.

فالفلسفة والدين ليس من شأنهما أن يدحضا فكرة الإيمان إلا ما هو مغلوط في هذه الفكرة، أمونيوس ساكاس سلك منحى فلسفياً تفرد به، وخط لنا مذهباً دينياً أكثر من كونه مجرد تصورات دينية سكنتها روح التصوف، وما التصوف إلا إحساس باللذة الحقيقية وراء فكرة الإيمان، وأي قيمة لهذه الفكرة إذا خرجت عن الإيمان بمطلق واحد هو الحق والحقيقة، فلا عجب أن تسود روح فلسفته نفحة من هذه النفحات التي تدعو إلى أعمال العقل وتعميق النظر؛ ليتحقق الاتصال بعدما زال عن عين الغشيم سلطان رغباته ونزواته عليه، فعقلها وهذبا لتكون وسيلة ومعبراً له، فتحيا الروح التي تجسد من دون أدنى شك الحياة، وأعلى مراتب الحياة هي صعود الروح إلى الله عن طريق الاشتياق المسمى بالحب Eros^{٦٧}، فانظر وتمعن كيف أن هؤلاء يعتبرون «الكشف هو الوسيلة إلى المعرفة؛ فالبصيرة فوق العقل، وبهذا انفسح الطريق للنزعة الصوفية التي حاولت التخلص من ظلام الشك الذي ساد في الناس حيناً من الدهر، فإن كان العقل قد عجز عن الوصول إلى الحقيقة وأدى بالإنسان إلى حيرة الشك فيلجأ هذا الإنسان إلى كشف البصيرة لعلها تكون له هدياً»^{٦٨}.

كما يمكن أن نعتبر الجهد الذي بذله أمونيوس ساكاس في محاولة الجمع بين المدارس الفلسفية، ومزجه بين التيارات والأفكار الفلسفية وبين العناصر الدينية الشرقية جهداً طبع تاريخ المدرسة الإسكندرية، حيث لعب التأويل الدور الأساسي في هذه العملية^{٦٩}.

فلسفة الإسكندرية لم تكن فلسفة أصيلة، ولم تكن مولدة لمعاني جديدة ولا لمذاهب متكاملة^{٧٠}، هي لم تكن كذلك بقدر ما شكلت مركزاً للانتشار وانتقال المعاني الفلسفية وتحولها في شتى الميادين. وعليه؛ فقد تميزت

^{٦٧} عالم الفكر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، مشرف التحرير: جفري بارندر، العدد ١٧٣، ماي ١٩٩٣، الصفحة ٦٧.

^{٦٨} أمين (أحمد)، محمود (زكي نجيب)، قصة الفلسفة اليونانية، الطبعة الثانية، ١٩٣٥، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة، الصفحة ٣١٥.

^{٦٩} أبو قحف، محمد محمود، مدرسة الإسكندرية الفلسفية "التاريخ الحضاري والحوار الفكري بين الفلسفة والدين"، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الصفحة ٢٧.

^{٧٠} النشار، مصطفى، مدرسة الإسكندرية الفلسفية، بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، دار المعارف - القاهرة، الصفحة ٣٠.

أيضاً بالتوفيق والتلفيق فيما بين المذاهب الفلسفية والمعاني والقيم الدينية كما أصل لها فلاسفة اليونان؛ لذلك «عرفت فلسفة الإسكندرية من ناحية أخرى باسم "الأفلاطونية المحدثة" كما تتمثل عند فلاسفة الإسكندرية: أمونيوس ساكاس وتلميذه أفلوطين»^{٧١}.

لقد كانت الإسكندرية منار العلوم والمعارف، ووجهة كل باحث يطلب العلم والمعرفة الحقة، حتى يتسنى له السبيل لمعرفة الأشياء بحقائقها ويغوص في عالم الدلالات والمعاني ويضبط العلوم فلا ينزوي في دائرة الجهل، لقد اشتهرت في مدينة الإسكندرية شخصيات عديدة في شتى الميادين، فمثلاً اشتهر أقليدس في الرياضيات وأرخميدس عرف كعالم الحساب والميكانيكا، وفي الفلك كانت الشهرة من حظ أريستارخوس الساموسي وبالجغرافيا أراتوستين^{٧٢}.

أما في مجال التشريح فاشتهر كل من هيروفيلوس الخالكيدسي وأرازيستراتوس اليوليبي بعقريتهما الفذة، وشهد علم الطب تجديداً شاملاً بالإسكندرية على يد كل من أبلودورس الإسكندري وفيلينوس القوصي وأندرياس تلميذ هيروفيلوس^{٧٣}، وهكذا فقد ضمت الإسكندرية علماء في ميادين عديدة ونهجت لنفسها المنهج الأفلاطوني المحدث نفسه؛ حيث حرصت على التوفيق بين الدين والفلسفة، وبين الأديان الشرقية واليونانية، وبين المسيحية والفلسفة وبين اليهودية والفلسفة اليونانية، فيكفيها أنها تقوم بدور الوساطة الساعية إلى التوفيق بين المتناقضات^{٧٤}.

ففي مدينة الإسكندرية فقط «تقابل الشرق والغرب في شوارعها، وفي قاعات الدرس بها وفي معابدها، وفيها اصطبغت اليهودية أولاً ثم المسيحية ثانياً بالصبغة اليونانية»^{٧٥}، إلى جانب رصدتها وتبني أفكار مدارس كبرى كالرواقية والأبيقورية والشكاك والفيثاغورية الحديثة والأفلاطونية المحدثة والغنوصية العرفانية بكل روافدها وتياراتها المختلفة والممتزجة^{٧٦}.

^{٧١} . أبو قحف، محمد محمود، مدرسة الإسكندرية الفلسفية "التاريخ الحضاري والحوار الفكري بين الفلسفة والدين"، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الصفحة ٣٠.

^{٧٢} . النشار، مصطفى، مدرسة الإسكندرية الفلسفية، بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، دار المعارف - القاهرة، الصفحة ٣٤.

^{٧٣} . النشار، مصطفى، مدرسة الإسكندرية الفلسفية، بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، دار المعارف - القاهرة، الصفحة ٣٤.

^{٧٤} . النشار، مصطفى، مدرسة الإسكندرية الفلسفية، بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، دار المعارف - القاهرة، الصفحة ٣٦ - ٣٧.

. أمين (أحمد)، محمود (زكي نجيب)، قصة الفلسفة اليونانية، الطبعة الثانية، ١٩٣٥، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة، الصفحة ٣١٤. ^{٧٥}

^{٧٦} . أبو قحف، محمد محمود، مدرسة الإسكندرية الفلسفية "التاريخ الحضاري والحوار الفكري بين الفلسفة والدين"، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الصفحة ٢٦.

وهذا ما شكل عاملاً من العوامل الأساسية التي ساهمت في نشأة وازدهار الإسكندرية الحضاري والثقافي والعلمي في عصرها الهيليني والإغريقي اليوناني والهلينستي الروماني. لذلك؛ اعتبرت الإسكندرية مصدر إشعاع حضاري وروحي عبرت عن عصر ثقافي متميز كما كانت رمزاً مؤثراً في الثقافة الإسلامية في العصور الوسطى وما بعدها.

لقد تميزت روح أمونيوس ساكاس الفلسفية بوعيتها التاريخي ووضوح الغاية من فعلها وممارستها الفلسفية والدينية، ولتحقيق هذه الغاية جمع بين أمرين اعتبراً عند الكثيرين متناقضين أو متضادين بحسب وجهة النظر، لقد حرص على تدبير الاختلاف وتوفيق غايته المثلى مع المبادئ الكاملة للحياة حتى يسعه تحقيق سعادة الإنسانية التي فيها خلاصها، إنّه باختصار عمل بنصيحة أوريليوس عندما قال بأن: «لا تفعل أي فعل من دون غاية، وهذه الغاية ينبغي أن تتوافق مع المبادئ الكاملة للحياة»^{٧٧}، لقد وضع أمونيوس لهدف التعليم الديني والفلسفي مقصداً سامياً كان هو بلوغ الحقيقة المطلقة التي في مكانها سعادة الإنسان وخلصه الروحي والبدني وفي السبيل إليها لذة المعرفة.

لائحة المراجع:

- H.P.Blavatsky, the key to theosophy, being a clear exposition, in the form of question and answer of the ethics, science, and philosophy, for the study of which the theosophical society has been founded, theosophy trust Easy-Read, format by theosophy trust, 2006.

- Vacherot, Étienne, Histoire critique de l'école d'Alexandrie, ouvrage couronné par l'institut académie des sciences morales et politiques, tome 1, paris, librairie philosophique de lardange, 1846.

- أبو قحف، محمد محمود، مدرسة الإسكندرية الفلسفية "التاريخ الحضاري والحوار الفكري بين الفلسفة والدين"، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر - الإسكندرية، ٢٠٠٤.

^{٧٧}. النشار، مصطفى، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الصفحة ١٠١.

- أمين (أحمد)، محمود (زكي نجيب)، قصة الفلسفة اليونانية، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٩٣٥.
- بدوي، عبد الرحمن، خريف الفكر اليوناني، خلاصة الفكر الأوروبي، الطبعة الخامسة، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، ١٩٧٩.
- صالح، سعد الدين السيد، قضايا فلسفية في ميزان العقيدة الإسلامية، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة ٤٥، الطبعة الأولى ١٩٩٨.
- عالم الفكر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، مشرف التحرير: جفري بارندر، العدد ١٧٣. ماي ١٩٩٣.
- مرحبا، محمد عبد الرحمن، مع الفلسفة اليونانية، الطبعة الثالثة، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٨.
- النشار، مصطفى، فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة، دار الثقافة العربية، ٢٠٠٦.
- النشار، مصطفى، مدرسة الإسكندرية الفلسفية، بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية، الطبعة الأولى، دار المعارف - القاهرة، ١٩٩٥.
- النشار، مصطفى، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ.. قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.

* (باحث في فلسفة الدين وقضاياها)